

ذات الصواري

رسم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود



المؤسسة العربية الحديثة

تطبع والنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر محفوظة - القاهرة - ٢٠٠٤

يقول عنها المؤرخون إنها من أعظم المعارك البحرية على
مر العصور ، ويضيف آخرون أنها أقوى معركة شهدتها البحار
الأبيض المتوسط منذ واقعة أكتيوم الشهيرة عام ٣١ ق م .
هي ذات الصواري ، المعركة البحرية الكبرى التي جرت
عام ٦٥٥م بين المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي سرح وقوات
الإمبراطورية البيزنطية بقيادة قسطنطين بن هرقل .
وقد سُجِّتْ أحداث تلك المعركة قبل حدوثها بوقت طويل ،



وذلك عندما تقدم معاوية بن أبي سفيان والي
الشام إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان
يطلب منه إعداد حملة بحرية
كبرى لفتح جزيرتي
قبرص ورو德斯 .



وَفَكَرَ عُثْمَانُ طَوِيلًا فِي هَذَا الطَّلَبِ ، فَفِي عَامِ ٦٤٨ م وَفَتْ
أَنْ تَقْدَمَ مُعَاوِيَةُ بِطَلَبِهِ ، لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ حِجْرَةٌ كَافِيَةٌ بِقُنُونِ
الْقَتَالِ فِي الْبَحْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ خَافَ عُثْمَانُ مِنْ تِلْكَ الْمَغَامِرَةِ ،
وَقَالَ لِمُعَاوِيَةَ : إِنِّي أَوَاقِفُ بِشَرْطِ عَدَمِ إِجْبَارِ أَحَدٍ عَلَى رُكُوبِ
الْبَحْرِ ، وَبِقِتْصَرِّ الْأَمْرِ فَقَطْ عَلَى الْمُتَطَوِّعِينَ الرَّاغِبِينَ مِنْ جُنْدِ
الْمُسْلِمِينَ .



وعلى الفور بدأ معاوية بن أبي سفيان يُجهزُ حملته ، فقام
بجمع فريق ضخم من الصُّنَّاع المَهْرَة ، ليصنعوا السُّنَّ المَطلوبة .
ثمَّ أعلنَ عقبَ ذلكَ نَفيرَ الحَربِ وطلبَ مُتَطوِّعينَ لأداء تلك
المُهمَّةِ الصَّعبةِ .



وكانت المفاجأة الكبرى التي لم يكن يتوقعها أحد ، هي تلك الأعداد الهائلة من المتطوعين التي جاءت تطلب الاشتراك في الحملة . جنوع غفيرة نالت من كل مكان لتكتمل الأعداد المطلوبة للحملة في وقت وجيز ، وعلى الفور بدأ التدريب والإعداد .

ثم قرّر معاونة خروج الحملة تحت قيادة القائدَيْن : أبي قيس الحارثي ، وعبد الله بن أبي سرح ، وهما من قادة المسلمين الأبطال .

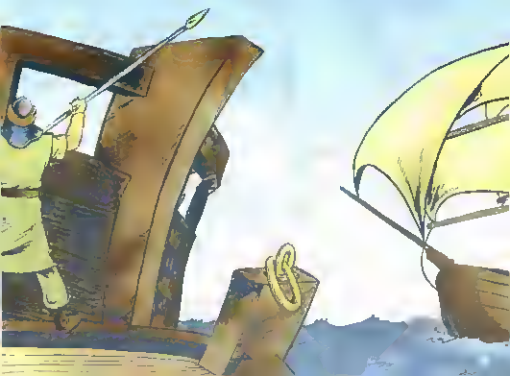


وَأَبْحَرَتْ مَرَاقِبُ الْمُسْلِمِينَ تَحْمِلُ الْعُدَّةَ وَالْعِنَادَ صَوْبَ
قُبْرُصَ ، وَعِنْدَ مَشَارِفِهَا بَرَزَتْ مَرَاقِبُ الْبِيزَنْطِيِّينَ لَتَتَصَدَّى
لِهَذَا الْهَجُومِ الْبَحْرِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يُنْظِمُهُ الْمُسْلِمُونَ .



فَقَدْ كَانَ الْبِيزَنْطِيُّونَ هُمْ سَادَةُ الْبَحْرِ وَمُلُوكُهُ أُنْدَاكُ ، وَمِنْ
الْخَطُورَةِ بِمَكَانٍ ظَهُورِ أَى قُوَّةٍ بَحْرِيَّةٍ أُخْرَى عَلَى مَسَرِّحِ الْأَحْدَاثِ .
مِنْ هُنَا حَشْدُ الْبِيزَنْطِيِّونَ أَكْبَرَ حَشْدٍ بَحْرِيٍّ لِلرَّدِّ عَلَى حَمَلَةِ
الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيٍّ وَصَدَّهَا .

وَتَدَوَّرَ الْحَرْبُ سَجَالًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ فَيُسْتَشْهِدُ الْقَائِدُ أَبُو قَيْسٍ
الْحَارِثِيُّ ، وَيُكْمَلُ الْمَعْرَكَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرِّحٍ ، إِلَى أَنْ
يَنْتَصِرَ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ فِي النِّهَايَةِ وَيَتِمُّ فَتْحُ جَزِيرَةِ قُبْرُصِ .

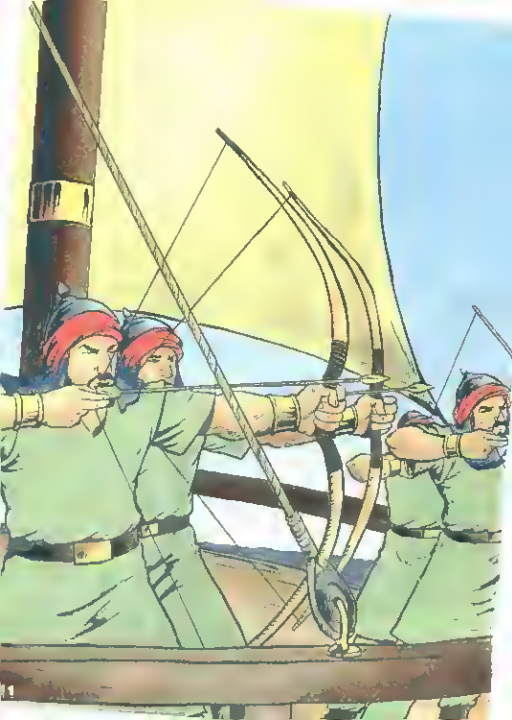




ومنها تنتقل جيوش المسلمين بكافة معداتها صوب جزيرة
رودس لفتحها هي الأخرى .

إلا أنه بعد هذا الفتح ثارت ثورة البيزنطيين ، فأعلن
قُسطنطين بن هرقل القائد البيزنطي الشهير - أنه ستوف بجهز
حملة بحرية كبرى يقضى بها على كل نفوذ للمسلمين في البحر .



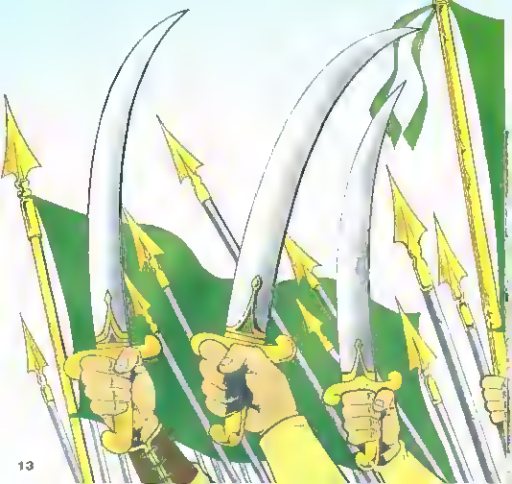


وبالفعل أعدَّ القائدُ البيزنطيُّ حَمَلَةً مِنْ سِتْمَائَةِ سَفِينَةٍ ، وقادَ
الْحَمَلَةَ بِنَفْسِهِ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ الْمُنْوَسطِ . وعلى الطَّرَفِ
الْمُقابِلِ تَقَدَّمَ القَائِدُ الْمُسْلِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْجٍ بِمِائَتِي
سَفِينَةٍ ، لِيَلْتَقِيَ الطَّرْفَانِ عِنْدَ مِثْقَلَةِ قَرِيبَةٍ مِنْ شِوَاطِيهِ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

ثُمَّاتِمَةُ سَفِينَةٍ تَقْتُلُ وَجْهًا لَوَجْهِ فِي أَكْبَرِ مَعْرَكَةِ بَحْرِيَّةٍ
يَشْهَدُهَا التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ .



بَدَأَتْ الْجَوْلَةُ الْأُولَى بِتَبَادُلِ السَّهَامِ ، كُلُّ يَتَحَبَّنُ الْفُرْصَةَ مِنْ
 بَعِيدٍ لِاصْطِيَادِ خَصْمِهِ ، وَاسْتَمَرَ الْحَالُ هَكَذَا ، إِلَى أَنْ أَنْهَى كُلُّ
 فَرِيقٍ مَخْرُوفُهُ مِنَ السَّهَامِ ، وَهَذَا بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَتَهُمْ
 الثَّانِيَةَ ، فَاتَّجَهُوا نَاحِيَةَ سَفْنٍ عَدُوِّهِمْ وَأَلْقَوْا سَفْنَهُمْ بِهَا ،
 لَتَتَحَوَّلَ السَّفْنُ جَمِيعًا إِلَى سَاحَةِ مُتَّصِلَةٍ ، لِاتَّخَلَفَ كَثِيرًا عَنْ
 سَاحَةِ آيَةِ مَعْرَكَةِ بَرِّيَّةٍ أُخْرَى .



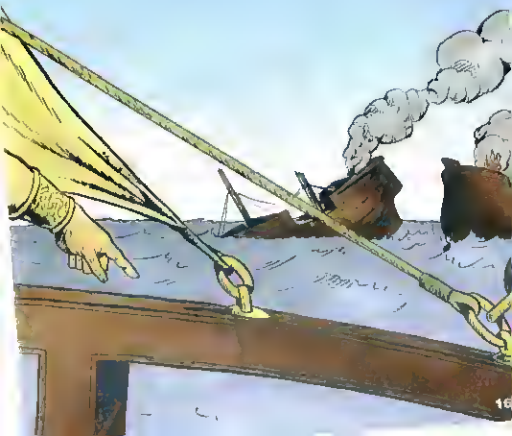
وَتَلَنَحْمُ الصَّوَارِي جَمِيعُهَا مَكُونَةُ تَشْكِيلًا ضَخْمًا جَعَلَ
الْجَمِيعُ يَنْتَذِرُونَ بِهِ وَيُطْلِقُونَ اسْمَهُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ لِتَسْمَى بِـ « ذَاتِ
الصَّوَارِي » أَيْ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ صَوَارِي
الْمَرَاقِبِ الْمُتَنَتِرَةِ .

وَيَضَعُ الْمُسْلِمُونَ فِي اعْتِبَارِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ هِيَ أَصْعَبُ
اِخْتِبَارٍ لَهُمْ وَعَلَى أَسَاسِهِ يُمَكِّنُ أَنَّ تَشْعِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
لَتَمْتَدَّ مِنْ نَهْرِ جَنْجَحُونَ شَرْقِيَّ فَارَسَ إِلَى الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ
عَلَى السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَمِنَ الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ
جَنُوبًا إِلَى بِلَادِ الْقُوقَازِ وَيَحْرَ قَزْوِينَ وَالْبَحْرَ
الْأَسْوَدَ شَمَالًا .





وَيَذُورُ الْقِتَالُ بِالسُّيُوفِ وَالْحَنَاجِرِ وَالْحَرَابِ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ لَوْنُ
الْبَحْرِ إِلَى اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ مِنْ كَثَرَةِ الدَّمَاءِ الَّتِي تَخْتَلِطُ بِمَيَاهِهِ .
وَيَذُرُّ الْقَائِدُ الْبِيزَنْطِيُّ قُسْطَنْطِينَ أَنْ قُوَّاتِهِ - مَعَ كَثَرَةِ
عَدَدِهَا - قَدْ انْهَزَمَتْ وَخَسِرَتْ الْكَثِيرَ مِنْ سَفْنِهَا وَمُعَدَّاتِهَا
فَيَقْفُزُ إِلَى مَرَكَبٍ صَغِيرٍ



يَهْرُبُ بِهِ إِلَى صَقْلَبَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُقْتَلُ هُنَاكَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِهَا
الَّذِينَ عَاقَبُوهُ عَلَى هَزِيمَتِهِ وَهَرَبِهِ .



وَيَقْتُلُ قُسْطَنْطِينَ تَنْهَارُ الْقُوَاتُ الْبِيزَنْطِيَّةُ الْبَاقِيَةُ وَيَسْتَسْلِمُ
مُعْظَمُهَا .

فَيُكْمَلُ الْمُسْلِمُونَ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى النَّصْرَ ، لِتُصْبِحَ لَهُمُ سَيَادَةُ
الْبَحْرِ بَعْدَ ذَلِكَ : يَتَجَهَّهُونَ فِيهِ نَحْوَ أَيْ مَكَانٍ دُونَ عَاتِقٍ أَوْ
حَدٍّ يَحْدُهُمْ .





رقم الإصدار ٢١٧٦

القيمة المضافة: ٢ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧

